الرسم الفرنسي المعاصر

الرسم الفرنسي المعاصر «برج بابـــل» حديث، لاسباب كثيرة منها : وفرة الاتجاهات وتصادمهـا ، وتمركز الفنانين العالميين في باريس ، واعتبار نتاجهم نتاجاً فرنسياً ، وعجز النقاد عن تصنيف الفنانين المجددين في مذاهب متمايزة ، وتحليل آثارهم الثوروية – الفوضوية .

وقد ظهرت حركة التجديد في الفن الفرنسي ، في منتصف القرن التاسع عشر ، واستمرت ناشطـــة حتى مطلع القرن الحالي – التاريخ الذي حاول فيه اقطاب « معهد الفنون الفرنسي » الثورة على الثائرين بدعم الطريقة الاكاديمية وتثبيتها تثبيتاً نهائياً .. انها محاولة لم تعرف الحياة ، أدى اخفاقها الى سيطرة حركة التجديد سيطرة تامة وطبع الفن الباريسي ، نهائياً ، بطابع التجديد والثورة والفوضوية .

وقد بذر بذور التجديد في الفن الفرنسي عبقريان غيّرا وجه الفن كله هما « سيزان » و « رينوار » . اما الاول فقد انطبعت آثاره بقوة نادرة « تعبر عن شوق ، وارادة حازمة » وقد تأثر اول ما تأثر بالطريقة « الانطبـــاعية » التي نماها واكملها في « ايكس » ، حيث اكتشف ايقاعات الفن المجهولة . فان « الحقول العارية ، القاسية ، والتربـــة الحمراء المشجرة الصاعدة صوب الهضاب الصخرية راسمة وجهاً صافيـاً على السماء القاتمة .. والذهب المحمر الذي يغسل الهضـاب في ساعة الغروب .. كل هذا مده بعناصر رؤية « بلاستيكية » جديدة .. »

فـــالبيوت في « ايكس » مكتلة تكتل الحجارة و « زوايا السطوح تشكل في الضوء هيئـــات هندسية تحمل الذهن الى تبسيطات ترتبط اسبابها بالعري الفظ اللاصق بالصخور الواقفة حداً عند الافق .. وبعري السماء الصافية من الغيوم ، وبعري جذوع الاشجار الذاهبة صعداً في الفضاء » . طبيعـة اوحت اليه بالشكل البلاستيكي « المنزه عن الزمنيـــة والالتواء والانتفاخ » – الشكل الغارز في التربة غروز الجذور . فقد كان فن « سيزان » فناً وجدانياً « مثل ابيات شعر قوية الوزن والرنة » وقاسياً « قساوة المادة المكثفة » غايتـــه « تعميق الصـــورة » التي تبلغ بالمتذوق « اوج الذكرى والاحساس[1] »

وكان الثاني – اي « رينوار » – فناناً يسخر « من جميع القوانين .. مقتنعاً – او مقنعاً الناس – ان افراح الحياة لا تعرف الزوال »

ويقول اندريه ليكلرك ان « فن رينوار بديهي لا يعتمد اية نظرية فنية » . صور اول مـــا صور في الهواء الطلق ، فازعجه الضوء وفر منه الى مرسمه في « مونمارتر » . وقـــد احب « انتظام اجزاء الجسم ، ولون البشرة وتكوير الثديين والوركين وانعكاس الاضواء في الشعر » فصـــور اجساداً « تفيض صحة وجذلا » واضفى عليها حمرة الشمس .

ففي كل ما صور – مشاهد طبيعية او ازهار – اسبغ على نماذجه « استدارات الابدان العارية وعذوبتها »

ان « سيزان » و « رينوار » كانا رائـــدي الحركات الثوروية التي يطلق عليهـــا الفرنسيون التكعيبية Cubisme والحدسية Nabi ، والاشقرية Fauve .

ويؤرخ الفن الجديد بتاريخ انطلاق « ماتيس ، وروو ، وماركيه » من مرسم « غوستـاف مورو » وانضمامهم الى « بـــراك » و « ديـــران » و « فلامانك » –

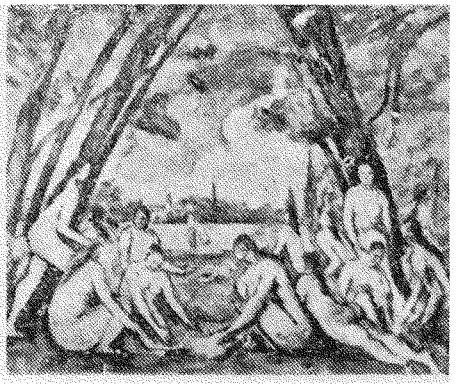

مستحمات – لسيزان

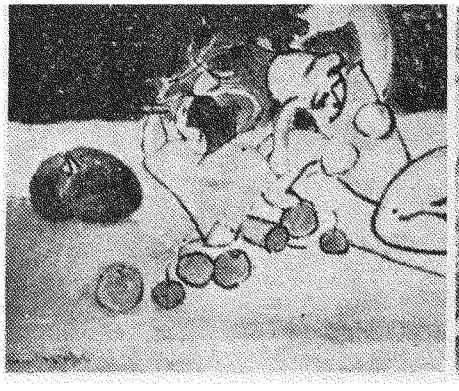

طبيعة ميتة – لماتيس

---

١ راجع مبحث « ايلي فور » عـــن « سيزان » .

٦١

الانسجام – لرينوار

اقطاب المدرسة الاشقرية – الذين استخدموا الالوان الصافية للكشف عن النور ، باعتبارها غاية بحد ذاتها ، وذريعة للتعبير عن الغريزة ، وتنسيق لوحاتهم « تنسيقاً تملأه المساحات المسطحة » .

وعرف « براك » « بيكاسو » فخلقا عام ١٩٠٨ المذهب التكعيبي – حاصلة « تبسيطات سيزان » – لمعارضة «الفورة اللونية عند الاشقريين » . وقد تخليا « عن كل رؤية معروفة ، وعن كل ملحة بلاستيكية » . واهملا « اللون ، والجو ، والابعاد الفضائية » ووقفا عند « التمثيل الهندسي للاحجام » . فكانت طريقتهما هي التعبير عن النموذج بخطوط هندسية تمثل « ظواهره جميعاً ظاهره ، ظهره ، عرضاه .. دفعة واحدة » .

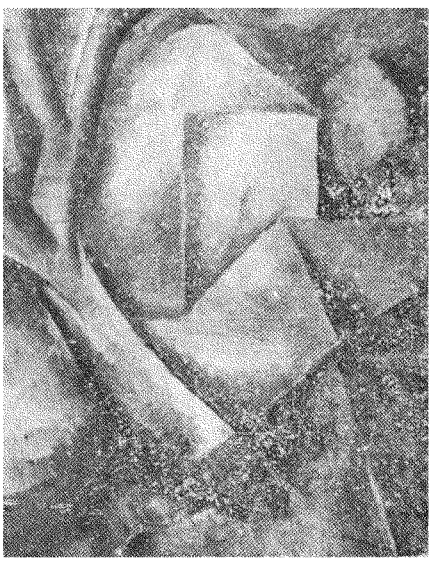

بيت في الايستاك – لبراك

ثم جاء زمن استقصاءات « فيون » و « ليجيه » و « غري » .. ١٩١٢ – فكانت المدرسة الثالثة – او المذهب الثالث الذي « اقترن فيه الواقع بالوهم ، واللون بما هو انساني » .

وهنا يجدر القول ان الاتجاهات الثلاثة توزعت الفنان الفرد بصورة يصعب معها ادماجه في احدها نهائياً .

وكانت الحرب الكونية الاولى فاصيبت حرفة الفن في فرنسا بالشلل . ومع الهدنة برزت الفردية باجلى مظاهرها ، ونشأت محاولات – كالسوريالية ، والدادية – هدمت كل اتجاه جماعي منظم ، وكل تجمع مدرسي خلاق . وعقبت الحرب الاولى حرب كونية ثانية طرحت بعدها قضية جديدة – قديمة هي قضية الواقعية لكن الاتجاه الجديد يعتبر صورة للفوضى في المفاهيم .

«فالواقعية اليوم (الكلام لجورج ميسون) هي « احترام الارض عند « سيكونزاك » ، وهي التعبير عن الشكل عند « غروبر » ، وهي الايقاعات الملتوية الكاشفة عن الاشباح في الاماكن المظلمة عند«ماسون» وهي الواقعية الاشتراكية عند اليساريين الخ..»

واصعب الصعوبات هو الكلام على « الجيل الجديد » من فناني باريس . واول من غامر وتحدث عن اتجاهاته هو « جان البير كارتييه» .

فما هي التيارات الجمالية التي تتجاذب الجيل الحديث ؟

يقول « جان كارتييه » في مبحثه البكر :

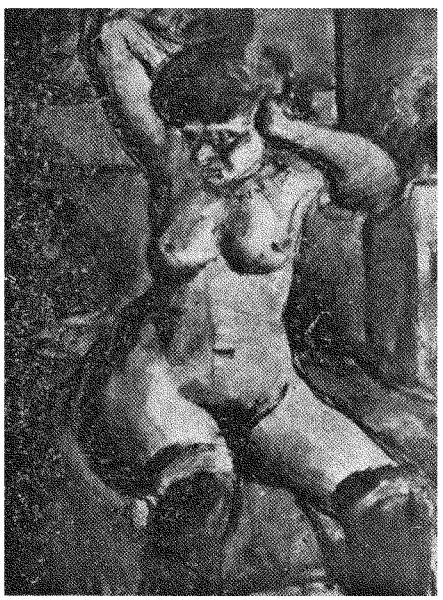

فتاة – لجورج روو

« تعتبر باريس اليوم (شأنها بالامس) من مواطن الجاذبية الرئيسية في عالم الفن ، يفد عليها من جميع الجهات فنانون شباب لاكتشاف شخصيتهم وفتح المجال لتفتح عبقريتهم : واكثر هؤلاء على حدود الخامسة والثلاثين من العمر ، بعضهم يحاول هضم امثولة السلف المباشر بتبني قواعد فنه الجوهرية .. والبعض – الاكثرية – قطع كل صلة مع السلف المباشر للسير على هدى القدامى » .

وهكذا انشأ الاولون على اعقاب التكعيبية : «التكعيبية الجديدة » التي تختلف عن امها بعدم تجزيء الموضوع المصور ، وفق رؤية ذهنية ، واعادته الى اطاره الحي ، في جو اكثر انسانية وحساسية ، يستعيد معه اللون حقوقه ، ويستعير

٦٢

امومة – لكومير

احياناً من الانطباعية انعكسات ضوئها ، وظلالها الملونة .

وانشأوا الفن الغريزي الصرف وقوامه « الطلس » الحر والمتتابع للالوان. انه فن قريب من الاتجاه السوريالي وبعيد عنه في آن . فالرمز فيه ليس « الغريب » و « المدهش » بل « التشويه » المعبر عن حالة نفسية .

وابتعد الاخرون عن « بيكاسو » و « دوفي » و « براك » و « ماتيس » ليقعوا تحت تأثير « كوربيه » الذي عبر ، منذ قرن تقريباً ، عن امكانات الواقع وغناه. لكن الجميع يعبرون عن مأساة مستقبل الانسان – عن الوضع الانساني . فهذا الاحساس الذي ظهر عند بيكاسو وروو وسوتين بشكل نضال عنيف فوضوي في الشكل واللون ، اتخذ عند هؤلاء مظهر القلق الباطني العميق. وإن فن الجيل الجديد يعبر باللون عما عبر عند « كفكا » و « سارتر » و « كامو » بالحرف . وفنهم ليس فن « الزخرف » بل فن « اللوحة » .

***

وهربهم ، بعد ، من جمالية السلف المباشر هدفه الخلاص من « فخ » الشكلية ، والسير في الطريق التي يكتشفون معها ذواتهم .

لقد انطلقوا من اسس جمعتهم في بداية الطريق ثم توجهوا في طرق متشعبة تميز الواحد عن الآخر وتشعره بكمال نموه . والاسماء التي فرضت نفسها اليوم – او من هذه الاسماء – « اندريه مينو » Minaux و « كومير » Commere ، و « جانسم » و « كرراد » و « بييرج » Bierge وهم طليعة قافلة جديدة لم يكتب تاريخها بعد ، امنيتها ان تكون شاهدة على عصرها . وان افراد تلك القافلة الاحرار ليجدون لمشاكل الفن الابدية حلولاً ذاتية تعبر عن شخصيتهم وامانيهم الى حد كبير .

الخياطة – لفرنان ليجيه

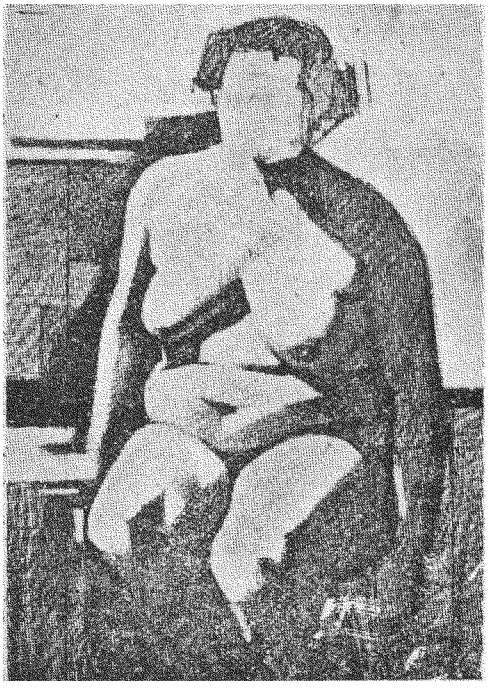

عارية الجسد – لبييرج

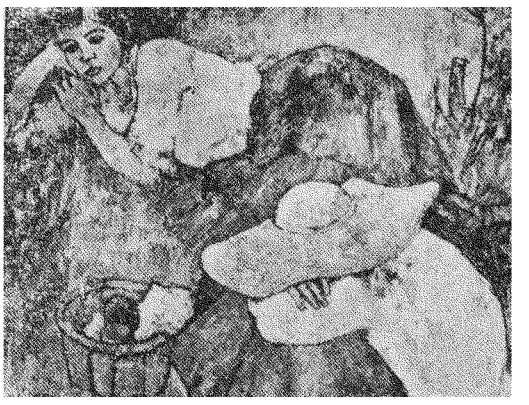

التعب – لاندريه مينو

ومع ذلك فان فنهم لا يخرج عن العرف . ويمكن القول ان اولئك الشباب هم – فكرياً – ابناء « كوربيه » القائل : « اردت ببساطة وبوعي تام ان انهل من العرف المتبع ، العاطفة القياسية والمستقلة لفرديتي الخاصة »

٦٣